أن الأولى لا تخلق النماذج البشرية العامة إلا من خلال السمات الفردية والاجتماعية، بينما تقدم الثانية هذه النماذج مجردة عن تلك السمات، إن الأولى واقعية تنطلق من التفرد والمحلية إلى العمومية العالمية، أما الثانية فمثالية تنطلق رأساً من السمات العمومية الخالدة في البشر؛ فنحن نجد «فيدر»[٧٥] تجسد لنا الصراع بين عاطفتي الحب والانتقام، فهي تحب «هيبوليت» ابن زوجها الملك من جهة،وتريد أن تنتقم منه فتفسد ما بينه وبين أبيه حين لم يستجب لنزوتها من جهة أخرى. و«آندروماك»[٧٦] تجسد لنا الصراع بين عاطفتي الوفاء والأمومة، لأنها تحرص على وفائها لزوجها الشهيد «هيكتور» فترفض الزواج من قاتله، وتريد في الوقت نفسه أن تحتفظ بابنها الذي يهددها قاتل زوجها بإلحاقه بأبيه إن لم ترضخ وتلبي رغبته. وفي مسرحية «السيد»[٧٧] «لكورني» نجد الصراع يجري في نفسيه «شيمين» بين الحب والواجب، فهي تحب خطيبها الذي قتل أباها في ظروف خاصة، ولكنها تجنح إلى رفضه بسبب جريمته، والانتقام لأبيها، وفي مسرحية «عطيل»[٧٨] «لشكسبير» نجد الاهتمام منصباً على عاطفة الغيرة وتصوير نتائجها وآثارها في «عطيل» وفي «ديدمونة» زوجته. إن هذه العواطف التي نمذجها لنا كل من «راسين» و«كورني» و«شكسبير» عواطف معلقة ليس لها أرضية اجتماعية وخلفية محلية أو سمات خصوصية فردية. إن الاهتمام بهذه السمات وبتلك الأرضية أو الخلفية نجده عند الواقعيين النقديين من أمثال «بالزاك» و«ستندال» و«تشيكوف» و«دوستويفسكي»، وليس عند «راسين» أو «كورني».

* * *

والسؤال الذي يهمنا كثيراً أن نطرحه الآن هو ما إذا كانت النمذجة تتطلب محاكاة الناس العاديين الذين نراهم يومياً؟.

إن مهمة الكاتب وواجبه ليس هو تصوير الحياة الواقعية اليومية على الإطلاق، لأن الحياة اليومية مضطربة ومبتذلة، ولن يفيدنا نقلها نقلاً حرفياً في شيء، إذ ما فائدة تصوير الواقع تصويراً فوتوغرافياً ما دام هذا الواقع قائماً